ولم يتوقف الأمر عند الاستحسان أو الاستهجان المجرد ، بل انعكس تأثير ذلك على دراسة النحو العربى باستخدام ذلك فى مجالات النزاع وتعدد الآراء حول المسائل ، بهدف تقوية رأى واستضعاف آخر .

هذا . . والأسانيد التى اعتمد عليها النحاة لهذا التفضيل — مما دخل فى طوق معرفته وتفصيله سابقا — من الكثرة والقلة وموافقة القياس أو لغة الحجازيين أو القرآن — لا تنهض أدلة مقنعة لتفضيل لهجة على أخرى ، لأنها فى حقيقة الأمر تعود إلى منهج النحاة العام فى الخلط بين اللهجات والفصحى فى دراسة واحدة ، ومن اعتبار القياس حكما فى الاستعمال ، والعكس هو الصحيح ، ومن العرف الذى شاع عن لغة الحجازيين وتفضيلها على غيرها من اللغات .

وعلى ذلك فإن موقفنا الآن له جانبان يلخصهما ما يلى :

أولا : أن دراستنا للفصحى الحديثة ولهجاتها ينبغى ألا يقحم عليها مثل تلك الطريقة ، بأن يكون موقفنا من النصوص — بعد تحديد البيئة — موقف الواصف الذى يلاحظ ما أمامه دون حكم بالجودة أو الرداءة .

ثانياً : أن تلك النظرة تساعد مع غيرها فى تصفية دراسة النحو العربى مما شابه من أحكام على اللغات وآراء ترتبت عليها ، وقد سبق فى تقويم موقف النحاة من لغات القبائل أنه يمكن مراجعة نصوص اللهجات بعد جمعها من مصادرها — وقد قامت فعلا جهود فى ذلك من المحدثين — وفى صدد تصفية هذه اللهجات يؤخذ بالرأى الذى عرض هنا من طرح أوصاف الجودة والرداءة عن نصوص اللهجات ، وصرف النظر عما ترتب عليها من آراء نحوية .

والأخذ بهذا الفهم يحقق فائدة النحو العربى ودراسة اللهجات العربية القديمة أيضا .